مناظرات بين

النصرانية والإسلام

■■ يحفظ التاريخ مواقف كثيرة بين دعاة النصرانية ودعاة الإسلام ، وقيام مناظرات بين أولئك وهؤلاء ، كل يبدي وجهة نظره إلى الدينين ، ويؤيد الدين الذي يتبعه .

وأول هذه المناظرات ما كان بين رسول الله ﷺ وبين وفد نجران ، فقد جاء هذا الوفد محتجاً غاضباً لما نمي إليه من أن رسول الله ﷺ قد وصف عيسى بن مريم بأنه بشر وليس إلهاً ولا ابن إله ، وقال رسول الله ﷺ : « نعم ، إنه أخي وإنه عبد الله ورسوله ، وإن الله تعالى لم يلد ولم يولد » ، وتطور الحجاج إلى دعوة للمباهلة ، وفي هذا الموقف جاءت الآيات الكريمة من سورة آل عمران (٥٩ ـ ٦١) :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ، فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ... ﴾ . ■■

وأصبح رسول الله ﷺ خارجاً إلى الصحراء ومعه الحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء ومن خلفهم الإمام علي رضي الله عنهم أجمعين ، وقال :

هؤلاء ، هم أهل بيتي ، وأراد أن يقفوا جميعاً مبتهلين إلى الله الخالق أن ينزل نقمته على الكاذب من الفريقين .. ولكن نصارى نجران نكصوا ، وقال قائلهم : تعلمون أن هذا الرجل مؤتى له ، أما والله إن فعلتم ليصيبنكم من الله كذا وكذا ، فنال القوم ذعر ثم انصرفوا ولم يباهلوا **رسول الله** ﷺ ولم يسلموا .

هذا قصص معروف يرويه التاريخ والسير ، كما تذكره كتب التفسير عند الآية السابقة ، ولهذا أوجزته واكتفيت بما ذكرت منه مقدمة للمناظرات الأخرى .

وهذه المناظرات تكررت بصور مختلفة ، وفي أزمنة متباينة من التاريخ ، ومن صورها البسيطة المهذبة ما كان يجري في مجلس **معاوية** ومجلس **عبدالملك بن مروان** ، من مقابلات بين النساطرة أو اليعاقبة وبين المسلمين ، وهي لم تكن ذات صبغة جدية بحيث يراد منها إدخال النصارى في الإسلام أو إقناعهم ببطلان معتقداتهم ؛ على نحو ما كان يحدث بين الشعراء من مهاجاة ومناقضات ، وفيها تجاوز الخليفة الأموي عما حرمه الإسلام من التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والأهلين .

وجرت بين يدي الرشيد مقابلات أيضاً بين رجال النصرانية وعلماء المسلمين ، وكان العصر حينئذ عصر مناظرات بين العلماء والبارزين في كل جانب علمي ، مناظرات بين رجال الكلام ورجال الفقه ورجال النحو وهكذا ، وكانت مناظرات النصارى من هذا النوع .

ولعل أول مناظرة جادة تلك التي جرت بين يدي المأمون بن الرشيد ، فقد كان مثقفاً عميق الثقافة ، وكان ذا دراية بالفلسفة ، وعلم الكلام ، وكان من أنصار المذهب المعتزلي ، ويبدو أنه درس النصرانية أو ألمّ بمسائلها الكبرى ، وخطوطها الرئيسة ، وقد استدعى مرة بعض القسس من حران وانطاكية ، وجمع بينهم وبين بعض علماء المسلمين ، وأقام بين الفريقين مناظرة شهدها جمع من الناس ، علماء وعامة ، ولم يكن هو فيها إلا مستمعاً ، وقد طالت هذه المناظرة ، ودارت محاوراتها حول شخصية المسيح وبنوته لله ، وخلقه من غير أب ، وحول بعض المسائل الإسلامية أيضاً ، وانتهت بعجز القسس النصارى نهائياً ، ولم يستطيعوا أن يحيروا جواباً ، وعرض عليهم **المأمون** بعد ذلك أن يدخلوا الإسلام فأبوا ، ولكنه لم يحرمهم من الحصول على جوائز مادية ، وكان يخشى عليهم من عدوان العامة ، فأعد لهم حراساً صاحبوهم حتى خرجوا من بغداد ، أو ربما حتى وصلوا ديارهم ، وظل لهذا اللقاء صدى بين الناس لمدة طويلة .

وهذه المناظرة ، كالمناظرة الأولى ، كانت في جو إسلامي وبيئة إسلامية ، ولكن المحاجة بين **رسول الله** ﷺ وبين **وفد نجران** ، قد يكون لها رهبتها من وجود **النبي** ﷺ وقد خشي القوم أن تحل بهم لعنة الله ، أما المناظرة أمام **المأمون** فالقسس فيها أكثر جرأة ، وليس لعلماء المسلمين الذين قابلوهم معجزات ، والأولون نكصوا عن المباهلة ، لكن هؤلاء أوتوا حظاً واسعاً من الحرية ، ومنحوا الوقت الكافي ، ودخلوا في المناظرة ، فسألوا ، وسئلوا ، وأعطوا مهلة للتفكير والرد ، ومع كل ذلك عجزوا ولم يجدوا ما يدفعون به عن أنفسهم .

وهناك مناظرات جرت في بيئات غير إسلامية ، وكان مديروها أو المشرفون عليها غير مسلمين .

ومن هذه المناظرات ما حدث أمام الطاغية التتري « **جنكيز خان** » ، فإن هذا السفاح بعد ما هبط بجيشه الجرار

وخيوله السريعة على شرقي الدولة الإسلامية ، وبعد أن جعل مساجد بخارىٰ مرابط لخيله ، وأحرق من مكتباتها ومكتبات مرو وسمرقند غير ما أتلف ، وبعد أن اتجه إلى غربي الصين ، بعد هذا كله ... هدأت ثورته ، وكان وثنياً جافياً غليظاً عديم التمدن ... فلما رأى حضارة الإسلام والأمم الأخرىٰ التي غزاها ، تزعزعت عقيدة الوثنية في نفسه ، وأراد أن يتخذ له ولقومه ديناً من الديانات التي تدين بها هذه البلاد المتحضرة ، وربما كانت البوذية أقرب إلى نزعته الوثنية من النصرانية ومن الإسلام ، ولكنه لم يشأ أن يتخذ له قراراً في ديانات لم يدرسها ، ورأى - ليقف على مدىٰ التفاضل بينها - أن يواجه بين علماء كل ديانة وأخرى ، ليرى لمن تكون الغلبة ، ثم يتبع النحلة المنتصرة ، ويبدو أن البوذية - مع قربها من وثنيته أو ربما لقربها من وثنيته - لم تنل لديه قبولاً كبيراً ، لأنها لا تزيد على نقله من وثنية لأخرى ، فحار بين النصرانية والإسلام ، فاستدعى علماء الديانتين ليتناظروا أمامه ، وكان **جنكيزخان** قد تزوج من نصرانية تركستانية حملته على مضايقة المسلمين ، ومحاربة تعاليمهم خصوصاً ذبح الحيوانات ، وكان أحد أبنائه أيضاً زوجاً لنصرانية ، ولكن واحداً منهما لم يعتنق النصرانية ، ولا اعتنق الإسلام ولا البوذية ، ولكن هذه المناظرات تركت آثارها في أذهان الأسرة الإيلخانية ونفوس الناس جميعاً ، فدخل بعضهم الإسلام سراً ، ومال حفدة **جنكيزخان** إلى الإسلام ، ثم اعتنقوه واتخذوه ديناً رسمياً ، وترىٰ في هذا الصدد قصة ذات طرافة ، وهي :

أن حاكم بعض الولايات ، أنهى إليه الإيلخان الذي يتبعه أنه قد فكر طويلاً فرأى أن الإسلام هو الدين الصحيح فدخل فيه ، وأنه يطلب أن يفكر بدوره عسى أن يرضيه هذا الدين ، وكان جواب الوالي أنه مسلم من زمن بعيد ولكنه يكتم اسلامه .

وأشهر الحكام المسلمين من حفدة **جنكيزخان هو الأمير بركـة خان** الذي حكم بين سنتي [١٢٥٦ ، ١٢٦٧م] وكان سيفاً متحمساً للإسلام ، وكان يعاصر ابن عمومته هولاكو التتري ، ولكنه ناصبه العداء وعقد حلفاً مع **القائد المملوكي الظاهر بيبرس** ، وكان مجلس « **بركة** » يغص بعلماء الفقه والحديث والتفسير ، وكان يحفل بالمناظرات الدينية ، وقد صادف أن ظاهرت الأحداث والموازنات بين سلوك المسلمين وسلوك النصارىٰ مناظرات المتكلمين ، فقد شاهد جنوده أعمال النصارىٰ في الشام ، فأثار اشمئزازهم ما فيها من عدوان على الأبرياء وفتك بالضعفاء ، إزاء تسامح المسلمين ورحمتهم ، فنفروا من هذه ومالوا إلى تلك ، ووفد مائتا منهم إلى القاهرة فأحسن السلطان بيبرس استقبالهم ، وأكرم مثواهم ، ودخلوا جميعاً الإسلام ثم كانوا دعاة له .

كان **الظاهر بيبرس** قد جلل **هولاكو** بعار هزيمة ساحقة ، واجلاه عن الأجزاء التي احتلها من سورية ، ووقع تحت يده أعداد من أسرىٰ المغول ، فلم يسيء إليهم ولم يكلفهم شيئاً شاقاً أو مهيناً .

وقد أرسل إلى الأمير المغولي رسالة مع بعض أتباعه ومعهم بعض المغوليين الذين لجأوا إلى مصر ، فوجدوا جيشه كله على غاية من الصلاح والمحافظة على العبادة . مع كل جندي مصلاه ، فإذا حان وقت الصلاة صلوا جميعاً . وهم يقرأون القرآن ويعنون بتحفيظه أولادهم الناشئين .

ورأى أن **المقريزي** على ما بدا في حديثه من بهجة وسرور من هذه الحال ، قد أجمل ما كنا نود أن يوليه تفصيلاً أوسع ، فأكبر الظن أن الوافدين على **السلطان بيبرس** تعلموا في الأزهر ، وليته ذكر لنا شيئاً عمن علموهم ، ويبدو أنهم كانوا يعرفون اللغة العربية من قبل ، بدليل أن ذويهم يقرأون القرآن ويحفظونه ...

ومن جميل ما في هذا الموقف أن دعاة النصرانية كانوا قد علقوا آمالاً كبيرة على هؤلاء التتار ، ورجوا أن يجدوا فيهم عوناً على المسلمين ، وأن يكون منهم حرب صليبية تأتي من الشرق ، تعوض ما أخفقت فيه الصليبية التي جاءت من الغرب ، وقد راسلهم البابا أنوسنت الرابع ، والقديس لويس ملك فرنسا ، ولكن رسولهما عاد يصف النساطرة بأسوأ الصفات .

ومناظرة أخيرة حدثت في الهنـد أمام الملك « أكبر » المغولي ، وكان هذا العاهل قد طلب من علماء الدينين : الإسلام والنصرانية شرحاً لمذهبهم ، وأن يواجه أتباع كل مذهب أتباع المذهب الآخر - وهذه مناظرة قد يطول شرحها - وهي خليقة بهذا الطول ، ولكننا نجملها بذكر خلاصتها ، فقد اهتم بها نصارىٰ الهند ، ولم يشاؤوا أن يواجهوا المسلمين وحدهم ، فسافر مندوبون منهم إلى روما وفرنسا وإسبانيا ، وأعد لهذا اللقاء حشد من اليسوعيين ، ومن الفرنسيسكان والكاثوليك ، وكانت آمالهم كبيرة في تنصير المغوليين تبعاً لمليكهم الذي طلب هذا اللقاء ؛ فلما تلاقى الجمعان كان الحشد الذي حضر لشهود المعركة حشداً هائلاً كبيراً ، ومن مختلف الديانات ، وما أكثرها في الهند ، وأخذ **أكـبر** يلقي أسئلته أولاً ويتلقى إجاباتها ، ثم تركهم يواجه كل منهم الآخر ، وفي نهاية الموقف أعلن إسلامه ، وقال : **إنه يعتقد أن الإسلام هو الدين الصحيح** . ولا تعطينا المراجع التاريخية تفاصيل ما دار في هذا اللقاء ولا عدد الأيام التي استغرقها ، ولكن المنصِّر الانجليزي الكبير - صاحب « **تاريخ الإرساليات النصرانية** » يقول :

« ... **إن الملك أكبر كان مشبعاً بالإسلام من قبل ، وإنه لم يحاول أن يتفهم النصرانية** ... » ، وإذا صح ما يقوله فلا ندري لماذا دعا كبار القسس ، وتريث حتى وصلوا من أوروبا ولم يعلن إسلامه إلا بعد شهود المناظرة ؟!

هذه مشـاهد تاريخية يرويها المسلمون وغير المسلمين ، وهي في كتب الأوروبيين والمنصِّرين على الأخص - ذكرتها إلى جماعة « **المدعين في محكمة الحق** » - وهم جماعة تنصيرية مستحدثة قامت في استراليا وتزاول نشاطها التنصيري في عديد من أقاليم الشرق الأوسط والأقصى .